

## نشأة الأنثروبولوجيا الاقتصادية وجدل الشكلانيين والجوهرانيين

## The emergence of economic anthropology and the controversy of formalists and essentialists

دحماني سليمان

جامعة تيزي وزو ( الجزائر )

[elostadanthropo@gmail.com](mailto:elostadanthropo@gmail.com)

| ملخص:                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                           | معلومات المقال                                                                            |
|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-------------------------------------------------------------------------------------------|
| نسعى من خلال هذه الورقة البحثية إلى التعريف بمجال معرفي نشأ حديثاً، وتقاطعت فيه الأنثروبولوجيا وعلم الاقتصاد يدعى الأنثروبولوجيا الاقتصادية، كما سنحاول في ذات السياق تسليط الضوء على ذلك النقاش العلمي الذي دار بين فريقين من علماء الأنثروبولوجيا الاقتصادية، حول إمكانية تطبيق النظرية الاقتصادية الكلاسيكية الغربية على المجتمعات البدائية والتقليدية، والحجج التي استند عليها كلا من الفريقين، والانتقادات التي وجهت إلى كل منهما. ويسمى الفريق المؤيد "الشكلانيون"، بينما يطلق على الفريق المعارض اسم "الجوهرانيون". وبناءً عليه، سوف نقوم بتعريف الأنثروبولوجيا أولاً، ثم نتناول بالشرح الظروف التي أدت إلى نشأة الأنثروبولوجيا الاقتصادية، وبعدها سنلقي الضوء على الجدل الذي جمع الشكلانيين والجوهرانيين.                                                                                               | تاريخ الارسال: 2022/02/22<br>تاريخ القبول: 2022/05/14                                     |
|                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                 | <b>الكلمات المفتاحية:</b><br>✓ الأنثروبولوجيا الاقتصادية<br>✓ الشكلانيون<br>✓ الجوهرانيون |
| Abstract :                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                      | Article info                                                                              |
| This paper seeks to define a newly emerging field of knowledge called economic anthropology which is an intersection of anthropology and economics. We will highlight the debate between two groups of economic anthropologists, the formalists and the substantivists, on the possibility of applying Western classical economic theory to primitive and traditional societies, their arguments, and the criticism leveled against each group. The formalists are proponents of applying Western classical economic theory to primitive economy while the substantivists reject this premise. Accordingly, we will first define anthropology, and then we will expound the circumstances that led to the emergence of economic anthropology. Finally we will shed light on the formalist-substantivist debate. | Received: 22/02/2022<br>Accepted: 14/05/2022                                              |
|                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                 | <b>Keywords:</b><br>✓ Economic Anthropology<br>✓ Formalists<br>✓ Essentialists            |

➤ **مقدمة:** تحاول الأنثروبولوجيا دراسة الكائن البشري بصورة شمولية، أي من مختلف الجوانب: الجسمية، والاجتماعية، والثقافية، ولقد ظهرت فروع جديدة في هذا المجال المعرفي، كمحصلة لتنامي علاقات التعاون بين الأنثروبولوجيا وعلوم أخرى من جهة، ونظرا إلى تراكم البحوث والدراسات الأنثروبولوجية حول عدة موضوعات سواء كانت صحية، أم سياسية، أم تربوية، أم اقتصادية... إلخ من جهة أخرى. ولقد أصبح الاقتصاد وفق بونت وإيزار (2006) واحدا من الموضوعات الأساسية لدراسة المجتمعات ضمن الأنثروبولوجيا إلى جانب الموضوعات الكلاسيكية، كالقراية، والدين، والسياسية، والإيكولوجيا؛ وبالرغم من أن اهتمام علماء الأنثروبولوجيا بالحياة الاقتصادية للمجتمعات البشرية المختلفة ظهر في وقت مبكر، إلا أن الأنثروبولوجيا الاقتصادية، بمعناها المحدد، قد ظهرت متأخرة، عندما ضمت إلى هذا الموضوع العام معرفة مشهورة ومتخصصة في ظواهر وتقنيات إنتاج وتداول واستخدام السلع المادية والاستفادة منها.

ونستطيع القول أن الأنثروبولوجيا الاقتصادية هي وليدة ذلك التعاون المثمر بين علماء الأنثروبولوجيا من ناحية، وعلماء الاقتصاد من ناحية أخرى، ولقد ساعدت البحوث والدراسات التي أجراها الأنثروبولوجيون في المجتمعات البدائية والتقليدية، علماء الاقتصاد على فهم النسق الاقتصادي الذي يتكون من عدة نُظم، كنُظم الملكية والحيازة، ونظم العمل والإنتاج، ونظم التبادل والتوزيع، في تلك المجتمعات وعلاقته بالأنساق الاجتماعية الأخرى، كما جعلتهم يعيدون النظر في كثير من الآراء والأفكار حول طبيعة الاقتصاد عموما.

هذا، وتعد الأنثروبولوجيا الاقتصادية حسب ما أشار إليه بوحسون (2017) فرعا متخصصا في الأنثروبولوجيا، يهتم بدراسة الطرق والوسائل التي وضعتها المجتمعات الإنسانية لإنتاج وتبادل السلع المادية الضرورية لاستهلاكهم وإنتاجهم من حيث أنهم جماعات. وتحاول البحث بصفة أكثر وضوحا في الجوانب المادية للعلاقات الاجتماعية، مع العلم أن هذه العلاقات التي تنشأ بين الأشخاص والجماعات يمكن أن تأخذ عدة أنواع، علاقات سياسية، وعاطفية، وجمالية، وحربية، واقتصادية... إلخ.

وبناء على ما سبق، تهدف هذه المقالة أساسا إلى تبيان ظروف نشأة الأنثروبولوجيا الاقتصادية، كما تهدف إلى تسليط الضوء على ذلك السجل الذي دار بين المدرسة الشكلائية، والمدرسة الجوهرائية بخصوص إمكانية تطبيق النظرية الاقتصادية الكلاسيكية الغربية على المجتمعات البدائية والتقليدية، ولكن قبل ذلك يجدر بنا تقديم نبذة عن الأنثروبولوجيا العامة وأقسامها أولا.

➤ **نبذة عن الأنثروبولوجيا العامة:** يتكون مصطلح أنثروبولوجيا من كلمتين يونانيتين: (anthrôpos) التي تعني الإنسان، و(Logos) التي تعني علم أو دراسة، وعلى هذا الأساس فإن المعنى اللفظي لهذا المصطلح، هو العلم المتخصص في دراسة الإنسان. وهناك في العالم العربي عدة محاولات

لترجمة هذا المصطلح بـ"علم الإنسان"، و"الإناسة"، وغيرها من العبارات، ولكن أي من هذه الترجمات لم تحظ بالإجماع، لأنها لا تدل دلالة واضحة على مضمون هذا العلم الحديث، لذلك تم الإبقاء على اسم العلم كما ورد في الأصل.

ولقد شكلت الأنثروبولوجيا فرعاً من المعرفة الفلسفية في عصر النهضة الأوروبية، التي تضع الإنسان في صلب اهتماماتها، كما تجلى ذلك في أعمال بعض الفلاسفة، مثل ديكارت، وهوبز، وروسو، وكانط... إلخ، ولكن مع نشأة العلوم الاجتماعية في القرن التاسع عشر، وكاستجابة لما توصل إليه العلم الحديث من نتائج حول التنوع الطبيعي والثقافي للنوع البشري، تغير معنى هذا المصطلح ليشير إلى علم جديد، يحاول دراسة الإنسان طبيعياً، واجتماعياً، وثقافياً.

ويمكن تقسيم الأنثروبولوجيا إلى ثلاثة أقسام كبرى، على النحو الآتي:

-الأنثروبولوجيا الفيزيائية: وتسمى كذلك حسب ميتشيل (1986) الأنثروبولوجيا الطبيعية أو الأنثروبولوجيا البيولوجية، وهو علم دراسة السجل البايولوجي للإنسان، إذ يبدأ بدراسة المنزل الحيوانية للإنسان ويحاول اقتفاء أصل وتطور الإنسان من خلال الدراسات المقارنة للمتحجرات والحيوانات اللبونة الحية، ويقوم بفحص طبيعة الاختلافات العنصرية بين الشعوب والأقوام ويدرس نتائج العوامل الإيكولوجية المختلفة على تشابه أو اختلاف أعضاء الجنس البشري وعلى نمو واضمحلال السكان. ويستعمل العالم الأنثروبولوجي الطبيعي تكتيكاً خاصاً في بحوثه وجمع معلوماته إلا أنه يعتمد في معظم دراساته على علوم مختلفة وكثيرة أهمها علم التشريح، علم الآثار، الكيمياء البيولوجية، علم النبات، علم الجيولوجي... إلخ. ولا شك أن التقدم الأخير الحاصل في علم الوراثة السكانية، قد ساهم في فهم العملية التطورية التي أدت إلى نشأة الإنسان العاقل، والتنوع الوراثي للبشرية.

-الأنثروبولوجيا الثقافية: أشار الجوهري وشكري (2008) أنها تدرس الأنثروبولوجيا الثقافية أصول المجتمعات والثقافات الإنسانية وتاريخها، وتتبع نموها وتطورها، وتدرس بناء الثقافات البشرية وأدائها لوظائفها في كل مكان وزمان، فالأنثروبولوجيا الثقافية تهتم بالثقافة في ذاتها، سواء كانت ثقافة أسلافنا أبناء العصر الحجري، أم ثقافة أبناء المجتمعات الحضرية المعاصرة في أوروبا وأمريكا. فجميع الثقافات تتأثر باهتمام دارس الأنثروبولوجيا، لأنها تسهم جميعاً في الكشف عن استجابات الناس-المتمثلة في الأشكال الثقافية-للمشكلات العامة التي تطرحها دوما البيئة المادية (الطبيعية)، وعن محاولات الناس الحياة والعمل معاً، وتفاعلات المجتمعات الإنسانية مع بعضها البعض.

وعلى هذا الأساس، يمكن القول أن الأنثروبولوجيا الثقافية تهتم بدراسة كل ما ينتجه الإنسان سواء كان مادة، أم علاقة اجتماعية، أم فكرة، وفي كل زمان ومكان. ولقد عرفت الأنثروبولوجيا الثقافية إنتشاراً واسعاً لاسيما في الولايات المتحدة الأمريكية.

-الأنثروبولوجيا الاجتماعية: ويهتم هذا الفرع بتحليل البناء الاجتماعي (أي تلك الوحدة الاجتماعية التي تسمح باستمرار المجتمع وبقائه) وخاصة في المجتمعات البدائية والتقليدية، التي يظهر فيها بوضوح تكامل وحدة البناء الاجتماعي، وهكذا يتركز اهتمام هذا الفرع بالقطاع الاجتماعي للثقافة، ويتميز بالدراسة المعمقة التفصيلية للبناء الاجتماعي وتوضيح الترابط والتأثير المتبادل بين النظم المختلفة، كالنظم الاجتماعية، والنظم الاقتصادية، والنظم السياسية، والنظم العقائدية، علاوة على دراسة النسق الإيكولوجي. ولقد ساد هذا القسم في بريطانيا بخاصة، كما أخذت الأنثروبولوجيا الاجتماعية تدرس المجتمعات الريفية والحضرية في الدول النامية والمتقدمة، منذ الحرب العالمية الثانية، شأنها في ذلك شأن الأنثروبولوجيا الثقافية.

ويعتقد بعض الأنثروبولوجيين الأمريكيين استنادا لنخبة من الأساتذة (د.س) أن الأنثروبولوجيا الاجتماعية والأنثروبولوجيا الثقافية متماثلتين من حيث مجال الدراسة، أما الإثنولوجيا فهي الجانب النظري التعميمي، على حين تعتبر الإثنوغرافيا الجانب الوصفي لهذا العلم. وبتعبير آخر نستطيع القول أن الإثنوغرافيا هي مرحلة الدراسة الوصفية لجميع عناصر الثقافة في مجتمع معين، بينما تمثل الإثنولوجيا مرحلة الدراسة المقارنة.

### ➤ الأنثروبولوجيا الاقتصادية وظروف نشأتها: أوضح الجوهري (2008) أن

الأنثروبولوجيا الاقتصادية هي فرع من فروع الأنثروبولوجيا يدرس أساليب التنظيم الجماعي التي تنتج وتوزع السلع اللازمة لحياة المجتمعات البشرية. ويركز هذا المجال حاليا على عدد من محاور الاهتمام، كما يتناول بالدراسة الإنتاج والتوزيع والتبادل الودي من منظور مقارن، والوصف الإثنوغرافي لنظم اقتصادية معينة، وتحليل التكوينات الاقتصادية قبل الرأسمالية أو المختلطة، وتحليل النظم الاقتصادية القومية والدولية والعالمية وتأثيرها على المجتمعات الصغيرة الريفية (...). وقد تزامن ظهور الأنثروبولوجيا الاقتصادية كعلم فرعي مع ظهور أساليب العمل الميداني الحديثة التي أجبرت الأنثروبولوجيين على مقارنة النظريات الاقتصادية والأنثروبولوجية بواقع الإنتاج والتوزيع والتبادل في الاقتصاديات القبلية، والقروية الصغيرة التي درسوها.

ولقد حاول بعض العلماء حسب بوحسون (2017) تعريف مجال اهتمامهم، فجاءت تعريفاتهم متنوعة في مضمونها، إذ ينظر هارت إلى الأنثروبولوجيا الاقتصادية بأنها المنتج الذي نتج عن تجاور تخصصين أكاديميين في القرن العشرين وهما علم الاقتصاد والأنثروبولوجيا (...). ويرى ناش أن الأنثروبولوجيا الاقتصادية تعنى بتحليل الحياة الاقتصادية باعتبارها نسقا فرعيا للمجتمع (...). ويعتبر دالتون الأنثروبولوجيا الاقتصادية مجالا ذا اهتمام خاص داخل الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية (...). كما صاغ جراس هذا المفهوم من خلال مقال له بعنوان: "الأنثروبولوجيا والاقتصاد"، حيث يعبر مفهوم

الأنثروبولوجيا الاقتصادية عن عملية الجمع بين الدراسات الأنثروبولوجية والاقتصادية التي اهتمت بطرق كسب العيش عند الشعوب البدائية.

يرى أحمد (د.س) أنه بعد معاناة التعريفات سابقة الذكر، نلاحظ أنها تشير إلى أن الأنثروبولوجيا الاقتصادية تعد فرعاً من فروع الأنثروبولوجيا الاجتماعية أو الأنثروبولوجيا الثقافية، نتج عن العلاقة التي ربطت الأنثروبولوجيا بعلم الاقتصاد بصورة عامة، ويهتم بالحياة الاقتصادية؛ وعلى عكس ما ذهب إليه جراس، فإن الأنثروبولوجيا الاقتصادية أصبحت تهتم بدراسة المجتمعات الصناعية المتقدمة إلى جانب المجتمعات البدائية البسيطة، وهذا ما عبر عنه أحد علماء الاقتصاد بقوله: إن الاقتصاديين قد جنحوا أيضاً- لدى دراستهم اقتصاد السوق- نحو أخذ المؤسسات على علاتها، ومالوا إلى إهمال التفاعل والصراع بين السوق والمؤسسات الاجتماعية الأخرى. وهو ما ترك فجوة يندفع إلى ملئها بعض الأنثروبولوجيين، حيث يذهبون إلى المصانع ويدرسون كيف يتجاوب أو يتفاعل العمال مع قواعد الإنتاج، أو يراقبون المديرين في غرف مجالس الإدارة أو يدرسون آثار المكانة على الوظائف. ومن الجلي أن تقنية الملاحظة الخاصة بالأنثروبولوجي، وفهمه للتفاعلات في المؤسسات الاجتماعية، قد أضى يمثل مساهمة في دراسة حتى أكثر اقتصادات السوق تقدماً.

وتمتد جذور الأنثروبولوجيا الاقتصادية التي ظهرت في منتصف القرن العشرين إلى أعمال بعض العلماء الرواد مثل الأمريكي فرانز بواس (Franz BOAS) من خلال عمله على بوتلاتش (Potlatch)، الذي تمارسه المجتمعات المحلية في الساحل الشمالي الغربي لأمريكا، وبحث الفرنسي (Marcel Mauss) حول الهبة والهدايا الملزمة؛ ودراسة البريطاني (Bronislaw Malinowski) الذي قام بوصف نظام (Kula) في مجتمعات تروبرياندا.

ويرى الأنثروبولوجي الأمريكي (Melville HERSKOVITS) أن الأسباب التي أخرجت نشوء الأنثروبولوجيا الاقتصادية تكمن في أن الأنثروبولوجيين لم يكونوا مهيين لإدراك إمكانية تطبيق النظرية الاقتصادية على المجتمعات التقليدية ومفاهيم علم الاقتصاد على المجتمعات التي يدرسونها، وانسحبوا من دراسة الاقتصاديات إلى التكنولوجيا أو كما يسمونها الثقافة المادية، ونما لديهم ببطء الإدراك بأن مشاكل الإنتاج والتوزيع والقيمة والدافع الاقتصادي هي عموميات في التجربة الإنسانية. أما علماء الاقتصاد فقد وجهوا بصعوبات عديدة عند تعرضهم لدراسة النمو الاقتصادي في المجتمعات غير الغربية وبخاصة المجتمعات الإفريقية، فقد اكتشفوا أن المبادئ التي طوروها لدراسة نظم الاقتصاد الغربي والجدول والنماذج المشتقة منها غير كافية عند تطبيقها على اقتصاديات مجتمعات تمر بعمليات تغير سريع، لأنها في الواقع تهمل الجذور التاريخية والثقافية لتلك المجتمعات، هذا بالإضافة إلى النقص الشديد في المعلومات الكمية، حيث أن سجلات هذه المجتمعات تخلو من أية بيانات رقمية يمكن الاعتماد عليها، وحتى إذا أمكن الحصول على أرقام متنوعة لأعداد السكان في إقليم معين، فإنها تكون انطباعية،

وهذه هي الأدوات الأساسية لعلم الاقتصاد، وعندما لا تتوفر فإن تغطية موضوعات الدراسة تصبح مرتجلة وغير دقيقة (أورد في: شويقة وآخرون، 1998).

ولقد ميز كل من (Chris HANN) و(Keit HART) في كتابهما الموسوم بـ"الأنثروبولوجيا الاقتصادية: التاريخ والإثنوغرافيا والنقد"، ثلاث مراحل في تطور الأنثروبولوجيا الاقتصادية بوصفها حقلا مستقلا:

-المرحلة الأولى التي امتدت من سبعينيات القرن التاسع عشر إلى أربعينيات القرن العشرين، انصب اهتمام معظم علماء الأنثروبولوجيا على ما إذا كان سلوك "المتوحشين" الاقتصادي يستند إلى أفكار الكفاءة والعقلانية ذاتها التي يفترض أنها تحفز السلوك الاقتصادي في الغرب وكرسوا جهودهم في البداية لوضع عروض موجودة عن التاريخ العالمي الذي كان في نظرهم عملية تطورية.

-المرحلة الثالثة: وفي ما بعد، في السنوات التي تلت الحرب العالمية الأولى، أصبحت ممارسة العمل الميداني مهمة أكثر من أي وقت مضى، وسعى الإثنوغرافيون إلى الربط بين فرضيات علم الاقتصاد السائد (الكلاسيكي الجديد) بنتائجهم الخاصة عن "المجتمعات البدائية"، لكنهم أخفقوا أساسا لأنهم لم يفهموا المقدمات الإبيستمولوجية لعلماء الاقتصاد.

في الخمسينات والستينات من القرن العشرين كانت الحرب الباردة في أوجها، والاقتصاد العالمي مزدهرا، والحكومات في كل مكان تتعهد توسيع الخدمات العامة مع المحافظة على ضوابط صارمة بخصوص الأسواق المالية. في تلك الظروف كان علماء الأنثروبولوجيا الاقتصادية يتجادلون في ما بينهم في شأن النظريات والمنهجيات اللازمة لدراسة ميدانهم الخاص الذي كان قد امتد في ذلك الوقت ليشمل فلاحى العالم إضافة إلى أبناء القبائل الذين كان عددهم في تناقص حينها. واعتقد "الشكلانيون" (Formalist) أن المفاهيم السائدة في علم الاقتصاد وأدواته كافية للقيام بهذه المهمة، في حين زعم "الجوهريون" (Substantivist) أن المقاربات المؤسسية أكثر ملائمة.

-وتبدأ المرحلة الثالثة من تاريخنا من الحد الفاصل في السبعينيات لتمتد على مدى ثلاثة عقود من العولمة الليبرالية الجديدة (...). وكانت هذه الفترة قد شهدت أنثروبولوجيين يوسعون دراساتهم لتتناول التنظيم الاقتصادي الإنساني برمته من منظورات متنوعة، وكان هؤلاء عموما قد فضلوا إلى حد الآن أن يلتزموا تقليد الرصد والملاحظة الإثنوغرافي (Ethnographic Observation) (أورد في: هان وهارت، 2014).

وفي ضوء ما سبق، يتبين أن الأنثروبولوجيا الاقتصادية عرفت منذ نشأتها تطورات ليس في الموضوعات والإشكاليات التي طرحها العلماء على بساط البحث فحسب، بل أيضا في الأطر النظرية التي حاول العلماء تفسير نتائجهم في ضوءها، وكذا المناهج المستخدمة.

➤ **جدل الشكلايين والجوهرائيين في الأنثروبولوجيا الاقتصادية:** لقد انقسم علماء الأنثروبولوجيا إزاء إمكانية تطبيق النظرية الاقتصادية الكلاسيكية الغربية على المجتمعات البدائية والتقليدية إلى فريقين:

-الفريق الأول (الشكلايين): وأشهر من مثله (Raymond FIRTH)، و(Eward LE CLAIRE).

لقد افترض الشكلايون بصفة عامة أن الاقتصاد يمكن أن يوصف بأنه نوع خاص من الفعل الذي انشغل فيه الناس في كل مكان وزمان - فعل يكافح الفرد فيه لإنجاز الحد الأقصى من الربح لنفسه و/أو أسرته. وما دام أننا نتناول المضاعفة القصوى (maximisation)، بعبارة أخرى، فإننا نتناول الاقتصاد. علاوة على أنه باعتبار أن المضاعفة القصوى ليست مقصورة على سياقات إمبيريقية معينة، بل يمكن أن تحدث في أي نوع من التفاعل الاجتماعي، فإنه يمكن اعتبار الاقتصاد مظهرا عالميا للحياة الاجتماعية البشرية (أورد في: هيلاند إريكسن وسيفرت نيلسن، 2014).

وعلى هذا الأساس يرى هذا الفريق وفق شويقة وآخرون (1998)، أن الناس في جميع المجتمعات مهما كانت بساطتها أو تعقدها يواجهون بنفس المشاكل الاقتصادية، وأن الفرق بين المشاكل الاقتصادية للمجتمعات الغربية المتقدمة من ناحية، والمجتمعات البسيطة غير الأوروبية من الناحية الأخرى هو فرق في الدرجة وليس في النوع.

ولقد تلقى أنصار هذا الاتجاه حسب بوحسون (2017) معارضة شديدة من طرف أنصار الفريق الآخر المسمى بالجوهرائيين، الذين يرون على أنه من الخطأ أن نطبق على المبادلة وإعادة التوزيع [في المجتمعات البدائية والتقليدية] مفاهيم نتجت عن تطورات السوق. حيث أكد بولاني أن الأنساق الاقتصادية الغربية تختلف تماما عن الأنساق الاقتصادية لدى الشعوب الأخرى أي شعوب ما قبل الرأسمالية التي تعتبر بدائية ولها ثقافة بسيطة. ومن ثم لا يمكن تطبيق مفاهيم النظرية الاقتصادية الكلاسيكية على كافة الاقتصاديات المنتشرة في العالم، لأن الفرق بينهما يكمن في النوع وليس في الدرجة.

ومن هذا المنطلق، في كتابه التحول الكبير: الأصول السياسية والاقتصادية لزمننا المعاصر (...). يدفع بولاني بأن ما نسميه بالاقتصاد لا يوجد في المجتمعات قبل الرأسمالية بالمرّة وأن النظرية الاقتصادية الكلاسيكية بالتالي لا يمكن أن تطبق بمنطقية سوى على الاقتصاديات الرأسمالية (أورد في: هيلاند إريكسن وسيفرت نيلسن، 2014). علاوة على ذلك، أوضح أحمد (د.س) أنه كان للشكلايين انحياز أيديولوجي واضح، حيث يقبلون أيديولوجية سيطرة الطبقة الرأسمالية. وكما يقول "ماسو" فإن خيارا أيديولوجيا كهذا له عواقب خطيرة فيما يتعلق بالنظرية الاقتصادية بوجه عام، والأنثروبولوجيا الاقتصادية خاصة. "إذ إن المفاهيم المستخدمة لتحليل الرأسمالية المعاصرة هي المستخدمة أيضا في تحليل أي شكل اقتصادي".

-أما الفريق الثاني (الجوهريون): فأبرز من مثله من العلماء، برونسلاو مالينوفسكي، ومارشال سالينز، وجورج دالتون، والمؤرخ الاقتصادي كارل بولاني.

وعلى عكس الشكلايين، يدفع [الجوهريون] بأن الاقتصاد ليس شكلا عالميا من الفعل، ولكن (بعبارة بولاني) "عملية مؤسسة" (...) فالإقتصاد تحتويه وتحدده مؤسسات تاريخية معينة من الإنتاج والتوزيع (التبادل) والاستهلاك (أورد في: هيلاند إريكسن وسيفرت نيلسن، 2014).

يرى شويقة وآخرون (1998) أن هذا الفريق عارض إمكانية تطبيق النظرية الاقتصادية الكلاسيكية الغربية على المجتمعات البدائية والتقليدية، لأنه يرى أن الاقتصاد البدائي يختلف عن ظاهرة التصنيع المعتمد على السوق ليس فقط في الدرجة ولكن في النوع أيضا، لغياب تكنولوجيا الآلة وعدم وجود التنافس المادي في السوق في الاقتصاد البدائي، بالإضافة إلى حقيقة المعاملات الاقتصادية التي لا يمكن فهمها بمعزل عن الالتزام الخلقي والاجتماعي، والتي لا يمكن للنظرية الاقتصادية الغربية إزاء هذا النوع من الاقتصاد أن تكون مثمرة التطبيق.

ولعل من أبرز الانتقادات التي وجهت إلى الجوهريين، أن إخفاقهم الرئيسي يتمثل في قصرهم أنفسهم على مجال التوزيع، وعدم قدرتهم على الإسهام في بحث المجال، أو الإنتاج. وحتى عندما استطاعوا الإمساك بحقل النشاط فإنهم لم يحققوا أي نجاح في تضمين الجوانب المختلفة للنشاط (أورد في: أحمد، د.س.).

وفي السياق ذاته، قام (Scott COOK) بتقديم نقد للاتجاه الجوهري مفاده أن أصحاب هذا الاتجاه قد اعترفوا بوجود مجتمعات وسيطة من الفلاحين قد تأثرت بدرجات متفاوتة بمؤثرات السوق، مما جعلهم يتراجعون عن أفكارهم المتعنتة التي كانت تعطي أهمية كبيرة لاقتصاد الإعاشة وتعتبره اقتصادا مغلقا وثابتا ولا يزال قائما بين المجتمعات ذات الاقتصاد البدائي التقليدي كالاقتصاد الطبيعة الذي يعتمد على الالتقاط والصيد والجمع (أورد في: بوحسون، 2017).

➤ **خاتمة:** تناولنا أساسا في هذا المقال ظروف نشأة أحد الفروع الحديثة في مجال الأنثروبولوجيا، ألا

وهو الأنثروبولوجيا الاقتصادية، التي ظهرت بالموازاة مع بروز البحث الإثنوغرافي الميداني في القرن العشرين، ومحاولة علماء الأنثروبولوجيا مقارنة نتائجهم ونتائج زملائهم من الاقتصاديين.

كما تم تسلط الضوء على ذلك الجدل الذي دار بين المدرسة الشكلائية والمدرسة الجوهريانية، حول إمكانية تطبيق النظرية الاقتصادية الكلاسيكية الغربية على المجتمعات البدائية والتقليدية، واتضح بعد التحليل، تأييد الفريق الأول (أي الشكلايين) لهذه الفكرة، لأن الاقتصاد من وجهة نظر أنصار هذا الفريق يمثل ملمحا كونيا للمجتمعات البشرية؛ بينما عارضها أنصار الفريق الثاني (أي الجوهريين) نظرا إلى

اختلاف نمط الاقتصاد في المجتمعات البدائية والتقليدية عن النمط الاقتصادي السائد في المجتمعات الرأسمالية الصناعية.

ولا شك أن الأنثروبولوجيا الاقتصادية قد استفادت من ذلك النقاش العلمي الذي جمع الشكلايين والجوهريين، وساهم في تقدمها، وعلى حد قول كل من كريس هان وكيت هارت، تعد تلك الفترة فترة ذهبية من تاريخها. ولعل من أبرز الأسباب التي أدت إلى تلاشى هذا الجدل، محاولة بعض مفكري الاقتصاد الماركسي، مثل الفيلسوف والأنثروبولوجي الفرنسي موريس غودليه (Maurice Godelier) إدماج أفكار المدرستين (الشكلانية والجوهريانية) وصياغة اتجاه جديد، عرف بعد ذلك رواجاً في هذا الميدان.

## ➤ قائمة المراجع:

1. أحمد، عبد الغفار محمد (د.ت). في تاريخ الأنثروبولوجيا والتنمية في السودان (مجموعة دراسات). ترجمة مصطفى مجدي الجمال. القاهرة: مركز البحوث العربية للدراسات العربية والإفريقية والتوثيق، أديس أبابا: منظمة العلوم الاجتماعية لشرق وجنوبي إفريقيا.
2. الجوهري، محمد (2008). المفاهيم الأساسية في الأنثروبولوجيا، القاهرة: د.ن.
3. 3- الجوهري، محمد وشكري، علياء (2008). مقدمة في دراسة الأنثروبولوجيا، القاهرة: الدار الدولية للاستثمارات الثقافية.
4. بوحسون، العربي (2017). الأنثروبولوجيا الاقتصادية: نشأتها واتجاهاتها ومجالاتها. تلمسان: النشر الجامعي الجديد.
5. بونت، بيار وإيزار، ميشال (2006). معجم الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع (مجد).
6. شويقة، فاروق عبد الحواد وآخرون (1998). الموسوعة الإفريقية، المجلد الرابع: الأنثروبولوجيا، القاهرة: جامعة القاهرة.
7. ميتشيل، دينكن (1986). معجم علم الاجتماع، ط2، بيروت: دار الطليعة.
8. نخبة من الأساتذة (د.س). المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
9. هان، كريس وهارت كيث (2014). الأنثروبولوجيا الاقتصادية: التاريخ والإثنوغرافيا والنقد. ترجمة عبد الله فاضل. قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
10. هيلاند إريكسن، توماس ووسيفرت نيلسن، فين (2014). تاريخ الأنثروبولوجيا. ترجمة عبده الرئيس. القاهرة: المركز القومي للترجمة